

جامعة الشهيد حمه لخضر-الوادي-

كلية العلوم الاجتماعية والإنسانية

قسم العلوم الإنسانية

الأستاذ : عمر بوصبيح

المادة : المراكز الحضارية في الشرق الأدنى القديم – المحاضرة الأولى-

المستوى: السنة الأولى ماستر

التخصص : تاريخ الحضارات القديمة

السنة الجامعية: 2022/2021

السادسي : الثاني

المراكز الحضارية في الشرق الأدنى القديم

تمهيد:

قبل الحديث عن المراكز الحضارية في الشرق الأدنى القديم كان لزاما علينا في بداية الأمر التذكير بالمقصود من وراء مصطلح المراكز الحضارية، والذي يقودنا بدوره إلى تسليط الضوء على معنى وتعريف الحضارة، فإذا كان الدكتور حسين مؤنس قد عرّف الحضارة على أنها ثمرة كل جهد يقوم به الإنسان لتحسين ظروف حياته، سواء أكان المجهود المبذول للوصول إلى تلك الثمرة مقصودا أم غير مقصود، وسواء أكانت الثمرة مادية أو معنوية، فإن هذا الباحث ربط مفهوم الحضارة بالتاريخ لأن التاريخ هو الزمن والثمرات الحضارية المذكورة تحتاج إلى زمن لكي تطلع، وبذلك فهي جزء من التاريخ أو نتاج جانبي من هذا التاريخ، وإذا كان أي ثمار يحتاج إلى زمن لكي يطلع وينمو ويزدهر ومن ثم يُحصَد، فإن ثمار الحضارة لا تظهر إلا بإضافة الزمن إلى جهد الإنسان.

وقد ربط بعض الباحثين معنى الحضارة من الناحية اللغوية بكلمتي الحضر والحاضرة، أي القرى والأرياف والمنازل المسكونة، وبهذا فهي تختلف عن البداوة والبادية، موضحين بذلك الاختلاف بينهما وبين المدنية التي تعني مختلف النشاطات البشرية في المدن، وكذلك بين الحضارة والثقافة التي يقصد بها النواحي العلمية والأدبية والفنية وطريقة التفكير والحياة. ومن ثم

خلص هؤلاء إلى أن مصطلح الحضارة وخاصة ذلك المستعمل في البحوث التاريخية أنه يعني كل ما نشأ من تفاعل بين الإنسان وبيئته التي يعيش فيها، أي كل ما يتعلق بحياة الشعوب من نظم اقتصادية واجتماعية وسياسية وفكرية وفنية، فالحضارة بذلك تعني دراسة جميع نواحي الحياة البشرية.

وإذا كانت التجمعات القروية تعتبر شكلا واضحا من أشكال الحضارة، فإن المدن بعد ظهورها صارت الشكل الأكثر تطورا حضاريا، وهذه الكيانات الجديدة اتحد فيها عامل ازدحام السكان مع عوامل أخرى خاصة بالحضارة والبيئة، فسهل اتحاد تلك العوامل ظهور حياة المدن.

كان للمدن أهمية واضحة كنموذج جديد للتكتل الاجتماعي، وكان لاستمرار بقاء هذه المراكز الحضارية ظروفًا يجب توافرها تمثلت في وجود أو تواجد مجموعة كبيرة العدد من السكان تستقر في ذلك المكان، كما يجب توفر معدات مادية تستخدم في نقل الطعام والمواد الخام الأخرى لنقله إلى مقر المدينة، ثم توزيع البضائع التي ينتجها العمال المحترفون المهرة من أهلها، ويبدو تاريخيا أن الحياة في المدن قد قامت من تلقاء نفسها في عدة أماكن من العالمين القديم والحديث حيث توافرت هذه الظروف.

ومن الواضح أن أقدم المراكز الحضارية في العالم القديم التي يمكن أن نقول عنها أنها تماثل الحياة في المدن كانت كلها في وديان الأنهار العظيمة، ففي هذه الوديان ساعدت التربة الغنية على إعالة جماعات عديدة من السكان المزارعين، بينما ساعدت طرق النقل المائية على سهولة تموين المدن، وبعد أن تم تنظيم الحياة المدنية في هذه المراكز، انتشرت إلى الداخل من كل مركز منها إلى مناطق أبعد، وقد ساعد على انتشارها وجود الحاجة إلى المواد الخام، وتطبيق النظم الفنية في الري التي تم تطويرها في وديان الأنهار العظيمة.

ومن المحتمل أن مصر وبلاد الرافدين كانتا أقدم المراكز التي انتشرت فيها حياة المدن، ويبدو أن بدايتهما في هاتين المنطقتين كانت مستقلة كل منهما على الأخرى وفي وقت واحد في الواقع حوالي 4000 ق.م، على الرغم من أنه كانت هناك علاقات عارضة بين مصر وبلاد النهرين منذ عام 3500 ق.م.

## جغرافيا بلاد الشرق الأدنى القديم

يرى بعض الباحثين أن المقصود ببلاد الشرق الأدنى القديم هي مصر وبلاد الشام وبلاد العرب والعراق، وزاد البعض عليها بلاد الأناضول وإيران، وبالغ غيرهم فاعتبر حضارات الشرق القديم شاملة لجميع البلاد السالفة الذكر ونزيد عليها حضارات الشرق الأقصى وخاصة الصين والهند.

ولكن إذا ما دققنا في التفكير ووضعنا في أذهاننا صلة تلك الحضارات ببعضها البعض وأثر كل واحدة منها على الأخرى، ونظرنا إلى خريطة هذا الجزء من العالم وتتبنا الطرق والدروب والمسالك التي سارت فيها التجارة وعليها انتقلت أيضا الثقافة، فإننا نجد أن كلا من النظريات الثلاث في تحديد بلاد الشرق في حاجة إلى شيء من التعديل، كما أننا لا يمكن أن نقتصر فقط على المنطقة التي سماها المؤرخ جيمس هنري برستد ( James Henry Breasted ) باسم الهلال الخصيب وهي المنطقة الخصبة التي تشبه الهلال، والتي يركز طرفها الأيسر في دلتا النيل، وطرفها الأيمن في دلتا نهر دجلة والفرات وتواجه منتصفها شبه الجزيرة العربية.

فبلاد الشرق في رأي الكثيرين تشمل دون شك جميع بلاد الهلال الخصيب ولكنها يجب أيضا أن تشمل ما يتصل بها من حضارات مثل الحضارة الحيثية (الأناضول)، وبلاد الجزيرة العربية، ولكننا إذا ما رجعنا إلى حوادث التاريخ ودرسنا أقدم الحضارات وبخاصة ما ازدهر منها من قبل عام 2000 ق.م، نرى أن حضارة وادي السند (الباكستانية الغربية) كانت وطيدة الصلة بحضارة العراق القديم، وكانت الصلات التجارية وبخاصة عن طريق البحر قديمة العهد بينهما، وإذا كانت تلك الحضارة قد اتصلت بالجنح الغربي من الهلال الخصيب، فإن هناك حضارة أخرى لم تكن بمعزل عن حضارات الجنح الغربي من هذا الهلال وهي حضارة جزر بحر إيجه التي كانت شديدة الصلة بسوريا والأناضول في جميع عصور التاريخ، وكذلك كان الأمر بالنسبة إلى شمال إفريقيا التي لم تفقد صلتها بوادي النيل في أي زمن من الأزمان.

وهناك أيضا حضارة الصين ولكن لم يبق حتى الآن دليل مقنع واحد على اعتبارها فرعا من دوحة حضارات الشرق الأدنى، بل هي حضارة قائمة بذاتها. كما أنه لا يمكننا أن نعتبر الحضارة الإيجية رغم كونها إحدى الحضارات الرئيسية في البحر الأبيض المتوسط، وكانت ذات صلة

مباشرة ووثيقة بحضارات شمال سوريا والأناضول من بين حضارات الشرق القديم، وعلى ذلك يمكننا تحديد أقدم مراكز الحضارات الهامة في الشرق الأدنى كالاتي:

- 1- **وادي النيل:** وهي حضارة لا تقتصر على حدود مصر الجغرافية بل تتعداها غربا إلى جزء كبير من شمال إفريقيا وجنوبا حتى سنّار في السودان.
- 2- **بلاد العراق أو وادي الرافدين أو بلاد ما بين النهرين:** بما فيها حضارات سومر وأكد وبابل وأشور وغيرها التي ظهرت إلى الشمال منها مثل الجوتيين، الكاشيين، الحوريين والميتانيين.
- 3- **بلاد الشام أو سوريا:** وتمتد من صحراء العراق حتى البحر المتوسط، ومن جبال طوروس في الشمال حتى شبه جزيرة سيناء في الجنوب.
- 4- **حيثيا أو بلاد الأناضول.**
- 5- **إيران**
- 6- **الجزيرة العربية:** وتشمل كل ما فيها من حضارات ما قبل الإسلام مثل حضارات السبأيين والمعينيين والحميريين في اليمن، والثموديين والليحانيين في شمال الجزيرة.

وإذا ما ألقينا نظرة فاحصة على خرائط تلك المنطقة التي توضحت معالمها، لرأينا أنها تختلف اختلافا كبيرا في طبيعة أراضيها، فمنها ما يعتمد اعتمادا كاملا على الأنهار مثل مصر والعراق ومنها ما هو جبلي ولكن تكثر فيها أيضا أرض الحشائش وتتخلل بعضها الصحاري الواسعة التي تكاد تنعدم فيها مقومات الحياة، بينما تعتمد بعض تلك المناطق على ما يسقط فيها من أمطار كما نجد بعضها أيضا يعتمد على البحر في رفاهيته ومقومات حياته.